حاجتنا الى النـادى النموذجى

بقلم الأستاذ صلاح الدين الشريف

الألفة وحب المعاشرة والإخاء الاجتماعى Sociabilité مظاهر مشتركة لغريزة من أقوى غرائز البشر ، هى غريزة نزوع الإنسان أبدا إلى الاجتماع بأفراد جنسه ، ومشاركتهم أعباء الحياة وشواغل العيش ، ومبادلتهم أشتات الأحاسيس وسـوانح الفكر ، والتضامن وإياهم على التخفيف من أخطار هذه الحياة وشرورها ، والتكثير من الدوافع المعينة على عيش الحضارة ، وهـذه لا تتوافى للعمران الإنسانى بغير اجتماع القوى الخـالقة واحتشاد الجهود المبـدعة لاكتساب الزمن ومراغمة الطبيعة !.

وطبيعى أن صورة المجتمع المثالى المتضامن ، كما يهدف نحوها الاجتماع المدنى الحديث ، لم تكن لتسنح على مسرح الوجود دفعة واحدة ، بل إنهـا قد جازت سلسلة مستطيلة من الانقلابات ومظاهر التحول ، تجاذبت فيها الأنانية الفردية والإيثار الجماعى ، ودخلا معركة لاهبة ما زالت تمثل لنـا فى صور من هذه الحروب العاصفة تنشب بين المجتمعات السياسية ، وما زالت تتجلى فى شتى مظاهر المنافسة والمزاحمة بين الهيئات والشركات والأحزاب فى داخل الوطن الواحد بالغة ما بلغت درجة العنف والمهاودة بينها .

على أن معايشة الإنسان أفراد جنسه والاجتماع بهم فى محيط الحياة والعمل ، قديم قدم الإنسانية فى مطاوى الزمن ومجاهل التاريخ — وإن لم يبلغ مبلغه الحالى فى كثير من أعراضه وظواهره — ولا وجه للعجب فى هذا ما دام أنه من عمل الطبع وحكم الغريزة . ومن وقت أن استأثر الإنسان البدائى بامرأة يختصها برعايته وحفاظه — بعد أن كان يحيا حياة التشرد الجنسى . أخذت جراثيم الأسرة البدائية وأصولها تتكون وتتكاثر لتبدأ عهد انقلاب وتحول فى تاريخ البشر ، هو عهد المؤاخاة العائلية وتضامن أفراد الأسرة الواحدة . وهـذا العهد لم يسلخ من دورة الزمن إلا ريثمـا تأدى بالإنسان إلى طور آخر تجمعت فيه الأسر التى تستشعر فى أعماقها ودمائها وحدة المنبت وشركة النسب ، لتظهر فى صورة أكثر ارتقاء ، ثم جاء عهد القبيلة ، الدولة التى تجمع أفرادها غاية الجهاد فى سبيل العيش والغلب ، وجامعـة الولاء لمـا ثبت فى أوهامهم وأحلامهم من عقائد ومثل وأساطير . . .

لم يكن ثمة متسع عن هـذه التقدمة كيما نؤكد حقيقة علمية حاسمة ، تتلخص فى أن الإنسان لا زال هو الكائن الاجتماعى المتطور وفق تطورات الاجتماع ، يؤثر فى ظروفه وتؤثر فيه .

وقد غبر عصر كانت فيه الحياة الاجتماعية ما تزال مضطربة متزيلة ، وأشرق بفجر العصر الذى أصبح الناس فيه وهم يحلمون بدستور التضامن يشتمل شتى مرافق الحياة ، ويحتفر

روافده خلال صور من التعاون والتساند بين المعاهد والهيئات والجمعيات ، يحتضنها بين جنبيه المجتمع العصرى المنظم ، وكلما توثقت الروابط الاجتماعية بين الأفراد ، فى ظل الشرائع والاخلاق وارتقاء الثقافات ، ارتقت بدورها حواسهم الإجتماعية وآدابهم العامة ، وأحسوا من ثمة بحوافز العمل الجماعى الواسع ، واستشعروا حاجتهم إلى تهذيب نواحى الضعف فى حياتهم ، بحشد القوى وتعبئة الجهود والملكات فى خدمة المجتمع ، وهكذا احتل " النادى " وهو اليوم أظهر ظواهر النشاط الجماعى الواسع ، مكانته الملحوظة فى حياة الجماعة ، ولو عرفنا مدى ما أسداه " النادى " من جلائل الخدم للاجتماع الغربى الحديث ، فى شتى نواحيه الثقافية والاقتصادية والصحية والسياسية ، لكان واجبا علينا أن نعير فكرته عناية أكبر مما يلقاها منا اليوم ، ولكان فى ميسورنا ، بعد أن ندعو إلى نظامنا الأمثل فى ربوعنا بالتشريع والتوجيه والقدوة ، أن ننظم جهود شبابنا فى مجموعات من الأندية المثلى موزعة على المدن والقرى ومراكز الأقاليم ، لتأخذ حياتنا القومية مظهرا أقوى وأهدافا أكمل وارتقاء أعلى وأمكن .

وأحسب أنه غير خاف على كل من تتبع خطوات الارتقاء فى نواحى اقتصادنا القومى ، تلك الناحية الشاذة تكمن فى مظهر اجتماعى هام — أعنى به التماسك — جلاه لنا هذا الشذوذ فى أوجه شائهة لا تتواتى وعظمة ما ينفق من جهد مالى وعقلى ، لتهذيب صناعاتنا القومية الناشئة ، كيما ترسخ أقدامها اللينة فى ميدان المنافسة الاقتصادية الحرة ، فلقد تناسى القائمون على أمر هذه الصناعات وشركاتها قيمة العامل الفردى فى حصص الإنتاج والاستهلاك من حيث ضيقها أو اتساع أقطارها ، وفى ألوان الابتكار من حيث طرافتها وجدتها أو جمودها وتخلفها ، وها هو ذا الاقتصاد الغربى الحديث ، ممثلا فى فلاسفته العمليين من تايلور وفورد إلى روكفلر ومنتسر برج ، ومفرغا فى قالب من الاحصاء الدقيق القائم على حسبان مدى الجهد الفردى فى طبقات الأمة كلها ، يصور لنا مقدار ما يقابل أرقامه الناطقة من سعة أو ضيق فى أفق الحياة الاقتصادية القومية ، بل العالمية على حد ما أكده العلامة تروشى ، فالملكات العقلية والصفات البدنية ، وبإيجاز سمات الشخصية الفردية وكفاية نشاطها جميعا ، جد ملحوظة اليوم فى إعداد سواد العمال للعمل الجماعى صغر أو ضخم ، وإلا فماذا لعمر الحق فى مكنة عامل سقيم البنية مترايل الخلق مضطرب الموارد خامل الملكات مستيأس النظرة ، أن يؤديه لشركة ما ، بل لنفسه وأفراد أسرته ، بل للاقتصاد القومى كله ؟ ! إنه التضامن الاجتماعى الحديث ، ممثلا فى الأندية الكاملة والنقابات المنظمة ، ما يكفل لنا — كما كفل أمس لغيرنا — استنقاذ عمالنا الوطنيين واقتصادنا الجماعى الناشئ من وهدة التدهور العقلى والخلقى والصحى والفنى جميعا .

ولعل الأجدى ، بدل أن نعرض لدراسة موضوع "النادى" من خلال شتيت من النظريات الفقهية والاجتماعية الجافة ، قصد تحليله وتجليه أكمل صورة له ، أن نتخذ السمة العملية الحاسمة ، فنعرض على قراء هذه المجلة التى طالما سجلت وشجعت مظاهر النضج فى حياتنا كافة ، كما عملت جاهدة على صقل مجال الشذوذ والضعف فيها ، صورة عملية بل نظاما نموذجيا تجلى فيه ناد من أنديتنا المصرية الناشئة ، أحسبه معدودا فى جملة الأمثلة القليلة الواجب أن تنحو نحوها أنديتنا المصرية وهيئاتنا وتشكيلاتنا جميعا .

عرف قيمة هذا التركيز والتوجيه للجهد الفردى الموزع ، نفر عامل ممن يقوم بأمر شركة مصر لنسج الحرير ، فى قسمها الصباغى القائم مبناه الضخم على مقربة من ضاحية حلوان ، فأفرغوا من ثمة شيئا من نشاطهم لربط طوائف العمال بأوثق روابط الألفة والأخوة والتضامن ، ولتعهد ملكاتهم العقلى ومواهبهم الراقدة بأسلوب عصرى من التهذيب العقلى والرياضى والفنى والخلقى ، يكون من هؤلاء الأفراد وحدات اقتصادية فعالة لها قيمتها الملحوظة فى ترقية مستوى العمل الصناعى ، ويفرغ هذا النشاط الفردى المشترك ، من ناحيته الاجتماعية ، فى أروع مظهر له .

ما سبيلهم إلى تحقيق هذه الأهداف إذن ؟ إنه "النادى" قد ارتأوا فيه خير جامع لهذه الجهود الفردية وأفضل ما يساعد جموع العمال على إظهار ذكائهم المصرى الدفين .

يتشعب كيان هذا النادى الى شعبتين أصيلتين ، هما المصدر لكل ما يتفرع عنهما من روافد وفروع تنتظم حياته الاجتماعية فى شتى نواحيها . فالشعبة الأولى تتمثل فى الناحية الثقافية بانتهاج سياسة تهذيبية تغذى الفكر وتثقف العقل وترقق الذوق وتحيى فى النفس الخشنة الجافة أنبل ما يهجس فى وجدانها من عواطف ومشاعر . وتستقل الشعبة الأخرى بالناحية الرياضية تمارس فى شتى أساليبها العصرية وألعابها المنوعة .

أما عن الشعبة الثقافية فهى قد تبدت فى صور من النشاط العقلى جديرة بالاعجاب حقا فهناك دورة أسبوعية للمحاضرات والمناظرات روعى فى اختيار موضوعاتها لصوقها بالشؤون العمالية والاقتصادية من ناحية ، ثم اقتباسها من شتى نواحى الثقافة الاجتماعية أفانين من الأفكار والحقائق تناسب مستوى العقلية العامة من ناحية أخرى . وهكذا يصبح فى ميسور السواد من العمال أن يستوعبوا مجمل ما يعرض عليهم خلالها من وجوه المعارف الإنسانية المبسطة ، فيتسع محيط خبرتهم بالعالم الخارجى المتطور وتتفتح قوى تفكيرهم المعلقة ، وتنمو حاسة النقد والابتكار لتحفز ملكاتهم ومواهبهم جميعا . ثم يأتى دور تثبيت هذه المعارف فى الذهن وفسح نطاقها على قدر ما يفى به الوسع ، بأسلوبين من الاطلاع هما وسيلة المعاهد

والمدارس الحديثة فى تثقيف أذهان طلابها وترقية مداركهم ، وأعنى بها الكتب من ناحية والتحرير والتأليف من ناحيـة أخرى . وقد يداخلك العجب إذا حدثتك بأمر تلك المكتبة التى ضمها النادى اليه وخصها بغرفة فخمة من غرفه الكثيرة ، وجمع فيها من أشتات الكتب ما يكاد يلبى مطالب الذهن لأعضاء النادى على اختلاف حظوظهم من الثقافة ، وخصها بميزانية تمدها بالمؤلفات والمجلات الجديدة ليتابع أعضاء النادى خطوات التطور فى حياتنا الفكرية عامة . وقد تجلى مظهر ثقافتهم الناشـئة فى صفحات تلك المجلة الظريفة المهـذبة ، يتعاون على تحريرها أعضاء النادى ، وتصدر فى نهـاية كل شهر حافلة بأفكارهم ونوادرهم ، فى مظهر يحدثنا بما أصابوه من نضج مبكر . ولعل الطريف فى أمرها أنهم احتالوا على غلاء نفقات الاصدار فلم يجعلوها على غرار المجلات المتعارفة من تجميع أوراق مضمومة على هيئة كتاب ، بل انهم اكتفوا بطبع صفحاتها على "التايپرايتر" والصق هذه الصفحات على سناد مستعرض يرتفع الى مستوى النظر ويتوسط منضـدة مستطيلة ، وقد رتبت الصفحات على العارضـة بحيث تفصل بين الصفحة والأخرى مسافة تفى بأن يشغل مايقابلها من فراغ الحجرة مقعد يلاصق المنضدة ، وهكذا يتكـفف المنضدة ذات السناد مقاعد بعدد صفحات المجـلة — وهى محدودة — يجلس اليها الأعضاء ليقرأوها بالتناوب مرة فى كل شهر ، فهى مجل حياتهم فى شتى نواحيها .

ولم يقف النادى عنـد حد جعل ثقافة أعضائه نظرية فحسب . بل إنه خطا فى سبيل إضفاء الصبغة العملية عليها خطوات فساحا مجدية ، تبدت فى سلسلة من الرحلات الرياضية العملية إلى مختلف بقاع القطر وإن الأعضاء جميعا ليحرصون على الانتظام فى هذه الرحلات كى لا تفوتهم تلك الفوائد العمليـة التى يغنمون منها أجل الفوائد النفسية وأبقاها ، فضلا عما تجديه عليهم من ترويح للنفس وترويض للجسم وإحكام للقوى ، وهو ما يلزم أفرادا من الأمة هم أحوج طبقاتها إلى أن يحيوا حياة صحية ملائمة ، ولتحفظ لهم نشاطهم العملى على الأيام كاملا .

لم يقنع الأعضاء بأن تقف مظاهر ثقافتهم العملية عند حد الإفادة من المحاضرات والقراءة والتحرير . بل أبوا إلا تعميم هذه الروح قدر الطاقة بين جمهرة الأميين من العمال ، فشهروا على الأمية حربا عوانا ، وكان أن عنيت ادارة النادى بتلقين أولئك الأميين مبادئ القراءة والكتابة ، فضلا عن تقوية معلومات المبتدئين من العمال فيهما وقد خصصت من أجل هذا الغرض الاجتماعى الجليل فصلين تعلم فيهما حتى الآن ما يقرب من خمسين عاملا هم الآن قدوة غيرهم فى سبيل التعلم لكل من انضم إلى الشركة أميا . ولعل إعجابك بهذا الجهد المبارك يتزايد لو عرفت أن القائمين على أمر التعليم والتهذيب فيـه هم المثقفون من أعضاء النادى . وبهذا يتحقق التضامن الاجتماعى فى أروع صورة وأعلاها ، ويلحق بشعبة الثقافة

باب السلويات الاجتماعية الراقية ؛ وقد روعى فى اختيارها أن تكون خير حافز للأعضاء على أعمال المواهب الذهنية وتربيـة ملكة الإرادة . والذوق السليم ، فضلا عن الترويح عن النفس وجلاء مارات على القلوب من فتور وما علاها من ملالة وسأم ، فالبلياردو والشطرنج والبنج بونج ، وحل الألغاز الأدبية الطريفة وحفلات السمر الحافلة والتمثيل . و بالنادى مسرح مجهـز بكامل الأدوات الحديثة — الى غير أولئك من ألوان السلوى الاجتماعية المثقفة المروحة هى سبيل النادى الى أن يضم الأعضاء من ورائها أجل الفوائد وأبقاها.

ثم يتأدى بنا مطاف القول الى شعبة الرياضة ، وهى فى روعة مظهرها رقوة اكتمالها مبعث فخر لهذا النادى لا ينقضى أيضا . فقد نشط النادى الى بث روح رياضية عاليـة بين الكافة من أعضائه من الصبية الى الشباب الى الرجال من الكهول ، واضعا نصب عينه بمعاونة المحترفين من أكابر الرياضيين ، أن يجعل من جسوم أبنـاء الشركة أعلى نماذج الجسم الرياضى السليم ، ليكون العمال على أتم أهبة ، جسميا وعقليا ، لما تتطلبه عمليـة الإنتاج من قواهم وتحيفه من نشاطهم ، ويتحقق من ثمة التوازن بين الجهد المبذول والقوى المكسوبة ! ؟

وقد صبح من آثار القسم الرياضى أن مهد ملاعب الكرة على اختلاف لعباتها وأعدها صالحة للمباريات الرسمية فغدا ملعب كرة القدم (بجوار المصنع) بساطا تكسوه نواضر الأعشاب وأصبح ملعب كرة السلة والكرة الطائرة مضرب المثل بين الأندية الرياضية فى مصر . ووزعت الانارة بالملاعب ليتسنى للعمال ممارستها ليلا ؛ كما أقامت ادارة النادى حلقـة محترمة للملاكمة وأعدت أخرى للمصارعة . وعنيت برياضة رفع الأثقال بجهزتها بالأوزان الكاملة على النظام الأولمبى الحديث . وهو ما كانت تنفرد به الأندية الكبرى من قبل . ولعـل ما يستأهل التسجيل أيضا فى هذا الباب تلك العناية البارزة التى حظيت بها الألعاب السويدية التى أجمع الطب الحديث على فائدتها الأكيدة . وان ما يدأب النادى على بثه من روح التشجيع والتكريم للنابغين من رياضييه بالجوائز المـادية ، لسبب أى سبب على بعث هؤلاء العمال بعثا رياضيا جديدا يكون فيه غنم لهم وكسب للشركة .

كذلك لقيت الحركة التعاونيـة — وهى إحدى نتائج هذا التضامن الاجتماعى الكريم أكبر عناية وأحفـل اهتمام من مجموع الأعضاء . والتعاون هو السر الأول واللغز السحرى فى نجاح أيما حركة جدية عامة أو خاصة ، وليست تحيا أمة تنكر شأنه الخطير فى تصريف أقدارها وتهمل شأنه وفرضه على الهيئات والأفراد فى شتى مناحى الحياة . ومن حسنات هذه الحركة انشاء "كانتين" بالنادى يهيىء للعمال ألوان الطعام الشهى النظيف فى مقابل ثمن تافه لا يتجاوز القرش الواحد للوجبـة الواحدة ، فى وقت ارتفعت فيه جميع أسعار الحاجيات ارتفاعا فاحشا ، ناهيك بتعذر الحصول على كثير منها . كما أعد أيضا حاجيات بيوت الأعضاء بأسعار الجملة . وقد ابتدأت حركة هذا "الكانتين" بعمل قرض من حضرات موظفى

المصنع لم يصل فى جملته الى العشرين جنيها ، ولما أن اتسع نطاق الحركة وأعوزه المال لتوفير طلبات الأعضاء ، لم تبخل عليه ادارة الشركة باجابته الى طلبه فأقرضته مائة جنيه كانت فاتحة نجاح كبير لا زال يلقاه .

وحدّث ولا حرج عن ذلك المسلك الخلق النادر ، يتبعه الأعضاء فى علاقة بعضهم ببعض ، وتسنده روح التعاون الكريمة ، فينبعثون الى ألوان من الخدمات والمودات يؤثرون بها بعضهم بعضا ؛ أظهرها تلك المساعدات والتبرعات المالية للعوزين المحتاجين منهم ، مما يخفف وطأة كل مصاب على الكافة ، وفى هذا يتبدى الإخاء الاجتماعى رائعا يأخذ بالألباب حقا .

ومن جميل ما أنتجته الفكرة التعاونية ما أعدته بالطابق العلوى للنادى — ونسيت الاشارة الى أن النادى يشغل مبنى من أفخم المبانى بحلوان — إعدادا على أكمل ما يمكن من النواحى الصحية والمنزلية ، ليكون بمثابة بيت للأغراب من الأعضاء يجدون فيه كافة ألوان الترفيه والراحة بعد عناء اليوم . وقد روعيت فى اختيار أثاثه البساطة والتناسق وسهولة التنظيف وتوفير الراحة ، وهذا كله فى مقابل أجر زهيد يتراوح بين العشرين والثلاثين قرشا فى الشهر للعضو الواحد .

واتجه تفكير النادى أخيرا الى العمل على استيراد المنسوجات واللوازم الضرورية للملبس ليتسنى لكل عضو من أعضائه الحصول على مستلزماته بسهولة وبسعر فى متناول يده .

وفى اليوم الخامس عشر من شهر مايو سنة ١٩٤٣ ، أقام النادى مهرجانه السنوى الأول لنواحى النشاط المختلفة بداره بحلوان . وتفضل بمشاهدة المهرجان حضرات أصحاب المعالى والسعادة والعزة مدحت يكن باشا ، الدكتور حافظ عفيفى باشا ، عبد المقصود أحمد بك ، سيد اللوزى بك وكثيرون من الكبراء ورجال الأعمال ومندوبو وزارة الشؤون الاجتماعية .

أما بعد فهذه صفحة من صفحات نشاطنا الاجتماعى العملى المحمود ، كان فضل تسطيرها بمداد من ذهب لرجلين كريمين يعتمل بين جوانحهما أنبل طموحات العمل التعاونى الحافل هما الدكتور حافظ عفيفى باشا ، والأستاذ سيد زين الدين مدير مصنع الصباغة المذكور ، فلقد كانت لروحه الشابة ونزعته الديمقراطية وعنايته الفطرية بالناحيتين الرياضية والثقافية ، أكبر مشجع لهذا النادى حفز تقدمه الى الأمام خطوات ، فاستأهل من ثمة اهتمام الدكتور حافظ عفيفى باشا بمده بكل ضروب المساعدة والعون .

فإلى أعضاء هذا النادى الكرام والى حضرة رئيسه العامل ، والى القائمين بشركة مصر لنسج الحرير ممن ساهم ببناء لبنة فى هذا الصرح الاجتماعى الكبير ، نزف التقدير والتحايا ، والله المسئول أن يكثر من أمثال هؤلاء العاملين الذين تحس مصر حاجتها اليهم فى عصرها الجديد ، عصر الوجود والحياة .

صلاح الدين الشريف
المحامى